التراث الروحي الأرثوذكسي ٥

أحاديث القديس بارسانوفيوس ستاريتس أوبتينا ٢



варсонофий оптинский

سلسلة التراث الروحي الأرثوذكسي ٥

أحاديث القديس بارسانوفيوس - الجزء الثاني

الجبل للنشر والتوزيع

التراث السلافي الأرثوذكسي

الكتاب : أحاديث القديس بارسانوفيوس الجزء٢.

الكاتب : القديس بارسانوفيوس .

المترجم : عامر هلسا .

الناشر : الجبل للنشر والتوزيع .

الطبعة : الأولى ، ٢٠١٦.

رقم الإيداع : ٢٠١٦/١٩٣٠٣

للطلب داخل جمهورية مصر العربية :

دار مجلة مرقص : ٢٨ شارع شبرا - ٢٥٧٧٠٦١٤ - ٠١٢٧٧٣٩٧٧٧٢

للطلب داخل المملكة الأردنية الهاشمية :

٠٠٩٦٢٧٩٦٥٠٠٣٣٢

للطلب داخل لبنان وسوريا :

٠٠٢٠١٢٧٧٣٩٧٧٧٢ - ٠٠٢٠١٠٠٥٨٧٧٩٢٢ - ٠٠٩٦١٣٦٠٣٧٨٣

أحاديث القديس بارسانوفيوس ستاريتس أوبتينا

مع أبنائه الروحيين

ترجمة / عامر هلسا

مراجعة : الدكتورة / يوليا بيتروفا

الناشر : الجبل للنشر والتوزيع

دليل الكتاب



القديس بارسانوفيوس Варсоно́фий

ستاريتس (الأب الروحي) أوبتـــينا

الجحيم

في هذه الأيام ابتدأت تنتشر قناعة ليس فقط بين العلمانيين ولكن أيضاً بين الإكليروس الشباب وهي أن العذاب الأبدي لا يتوافق مع رحمة الله الغير محدودة وبالتالي فإن العذاب غير أبدي. هذه الضلالة تنشأ من عدم الفهم، **فالعذاب الأبدي والغبطة الأبدية هما ليسا مجرّد أشياء تأتينا من الخارج**، ولكنها قبل كل شيء من داخل الإنسان نفسه... ***"ملكوت السماوات في داخلكم"*** *(لو ١٧ : ٢١)*. كل المشاعر التي يزرعها الإنسان داخل نفسه أثناء حياته هي ما يغادر بها إلى الحياة الأبدية .الجسد المريض يتعذّب على الأرض وكلما اشتدّ المرض زاد العذاب. وهكذا هي الروح المصابة بأمراض مختلفة تبدأ تتعذّب عند انتقالها إلى الحياة الأبدية. مرض الجسد المستعصي ينتهي بالموت، **ولكن كيف يمكن أن ينتهي مرض الروح بما**

أنّ **الــروح لا تمــوت؟**. الحقــد والغضــب والســخط والزنــا وغيرهــا مــن أمــراض الــروح هــي مثــل الأفــاعي تزحــف وراء الإنسان إلى الحياة الأبدية.

ومن هنا يتلخّص الهدف من هذه الحياة :

وهو أن نسحق تلك الأفاعي هنا على الأرض لتتـنـقّى نفوسنا كـلّياً،

لكي نقول مع مخلّصنا قبل الموت:

"... رئيس هذا العالم آتٍ وليس له فيَّ شيء" (يو ١٤ : ٣٠).

الــنفس الخاطئــة الــتي لم تتنــقَّ بالتوبــة لا يمكــن أن تكــون في مجمــع القديســين. ولــو أســكنوا تلــك الــنفس في الفــردوس لمــا أطاقــت التواجــد فيــه ولكانــت ستســعى إلى أن تخرج من هناك.

بالفعــل، كيف يتواجــد القســاة مــع الرحمــاء والزنــاة مــع الأعفاء والأشرار مع العُطفاء؟.

ذات مــرة دُعــي أحــد المدرّســين البســطاء إلى مأدبــة

غـداء. وأجلسـوه بـين الجنـرالات علـى المائـدة، فشـعر بحـرج، لم يعـرف كيـف يسـتخدم السـكين والشـوكة مثـل جلسـائه مـن عُلية القـوم، وربـط المنـديل علـى عنقـه ونظـر فـإذا بـه الوحيد الـذي فعل هـذا، فوضـع المنديل علـى ركبتـه فـانزلق علـى الأرض فـانحنى تحـت المائـدة ليرفعـه. أنـواع الطعـام كانـت كـثيرة لكـن المـدرّس رفـض بعضـها لأنهـا غريبـة ولم يعـرف كيـف تُؤكـل. طـوال فـترة الغـداء كـان كمـن يجلـس علـى المسـامير ويحلـم: **متـى ينتهـي هـذا كلـه؟** أمـا الآخـرون فكـانوا يتصـرّفون وكـأنهم في بيـوتهم وتنـاولوا مـن جميـع الأطعمـة وكـانوا يتحـدثون بمـرح ويضـحكون. وأخـيراً انتهـى الغـداء وبعـد الحلـوى قـدّموا آخـر وجبـة وهـي عبـارة عـن كـؤوس صـغيرة مملـوءة بسـائل أبـيض شـفّاف وموضـوعة في داخـل فنـاجين زجاجيـة كـبيرة. قـدّموا أوّلاً للجنـرال الجـالس بجانـب المـدرّس فأخـذ الفنجـان ووضـعه بجانبـه وثـمّ للمـدرّس. وكـان

المدرّس عطشان فتناول الكأس وشرب ما فيها دفعة واحدة، فلم يستطعم بلذة لأنها عبارة عن ماء ساخن ونعنع. وكم أصابه الارتباك عندما رأى أن الجميع كانوا يتمضمضون منه ولم يشرب أحد هذا الماء.

فقام عن المائدة منزعجاً للغاية وقاطعاً على نفسه عهداً بأن لا يحضر حفلات الناس الأكابر فيما بعد. انظر كم هو مُزعج ومكروه أن يكون المرء في مجتمع غريب عنه هنا على الأرض، فكم بالأحرى هناك في السماء.

تنتشر الآن انتشاراً واسعاً نظرة غير صحيحة في العذابات بشكل عام، وتفهمها الناس من منظور معنوي وبتجرّد زائد على أنها **تأنيب للضمير**. بالطبع سيكون هناك **تأنيب للضمير** ولكن سيكون هناك أيضاً عذاب للجسد، ليس لجسدنا الذي نلبسه الآن ولكن للجسد الجديد الذي سنلبسه بعد القيامة. وجهنّم هي مكان

معلوم وليس فكرة تجريدية.

كان يعيش في إحدى المدن ضابط شاب وكانت حياته ملؤها الفراغ واللهو، ويبدو أنه لم يفكر أبداً بالمسائل الدينية، وفي كل الأحوال كان يتعامل مع هذه المواضيع بشكّ وريبة. وإليكم ما حصل ذات يوم وبحسب روايته: " في إحدى المرّات رجعت إلى البيت وكنت أشعر بالتوعّك، فاستلقيت على السرير ويبدو أني غفوت... فرأيت في المنام أنني موجود في مدينة غير معروفة لي وكان منظر المدينة حزيناً والبنايات الكبيرة الرمادية اللون شبه المهدّمة تبرز كئيبة وخلفها تظهر السماء بلون شاحب.

الشوارع ضيّقة ومعوجّة وأكوام القمامة في كل مكان، ولا يوجد أحد! ولا أي مخلوق بشري! من المؤكد أن المدينة كانت مهجورة بسبب عدو. لا أستطيع أن أعبّر عن الشعور بالكآبة واليأس الذي تملّكني.

"يا إلهي، أين أنا؟ ".

أخـيراً هــا أنــا أرى في قبـو إحـدى البنايـات شخصـين معروفين لديّ،

"المجد لك يا الله! من هما؟".

صـرت أحـتّ ذاكرتـي فتـذكرت بأنهمـا رفيقـيّ في الثكنـة وقـد ماتـا منـذ عـدة سـنوات. وهـم بـدورهما عرفـاني وسألاني:

"كيف ذلك، وأنت أيضاً هنا؟".

وبغـض النظـر عـن غرابـة اللقـاء، فرحـت وطلبـت بـأن يريـاني أيـن يعيشـان. فقـاداني إلى سـرداب رطـب تحـت الأرض، فدخلت إلى حجرة أحدهما. فقلت له:

"صـديقي، أنـت كنـت في حياتـك تحـبّ الجمـال والأناقة، وكانت شقتك دائماً رائعة الجمال، والآن؟".

لم يجبني بشيء، كان فقط ينظر بعينين شاحبتين مليئتين بالحسرة إلى جدران سجنه المظلم.

وسألت الآخر: "**وأنت أين تعيش؟**".

فقام متنهّداً بأنين متوجّهاً إلى عمق السرداب. لم أتجرّأ على أن أتبعه وتوسّلت إلى رفيقي الثاني بأن يُخرجني إلى الهواء الطلق، فأراني الطريق وبصعوبة بالغة خرجت أخيراً إلى الشارع فقطعت بضع أزقة فانتصب أمام عيني حائط حجري ضخم، ليس هناك وجهة للذهاب إليها. استدرت فإذا بحيطان عالية مظلمة من خلفي أيضاً، كنت وكأني موجود في داخل شوال حجري.

"**أنقذني يا ربّ!**" – صرخت يائساً واستيقظت.

وعندما فتحت عينيّ، نظرتُ وإذا بي أقف على حافة هاوية مُخيفة وهناك مخلوقات مُرعبة تحاول جاهدة أن

تدفعني إلى تلك الهاوية.

تملّك الرعب كلّ كياني. "**ساعدني يا رب!**".

ناديتُ من قلبي واستفقتُ. "**يا إلهي، في أي مكان كنتُ، وفي أيّ مكان أنا الآن موجود؟**".

سهل رتيب كئيب مُغطّى بالثلج، ومن بعيد تظهر جبال هرمية الشكل. ولا يوجد أي إنسان، وأنا أمشي، وها هو نهر مُغطى بطبقة رقيقة من الجليد.

هناك أناس على الناحية الأخرى، وهم يمشون أرتالاً ويردّدون:

"**الويل، الويل!**".

فقرّرتُ العبور إلى الضفة الأخرى. الجليد يتصدّع ويتكسّر ومن النهر تظهر وحوش تحاول أن تقبض عليّ. وأخيراً ها أنا على الضفة الأخرى. الطريق يؤدي إلى

الجبـل، الجـو بـارد وفي الـنفس كآبـة لا تنتهـي. لكـن هناك بعيداً تظهر النار، وأرى خيمة منصوبة وفيها أناس.

"الحمد لله، لست وحدي!".

وأدنـو مـن الخيمـة، ونظـرت وإذا الجالسـين في الخيمـة هم ألدّ أعدائي، وانقضّوا عليّ شامتين:

"آآآ، وقعت أخيراً في أيدينا أيها العزيز ولن تذهب من هنا حيّاً".

فصرخت:" يا إلهي خلّصني وارحمني!".

مـا هـذا؟ أنـا مُمـدّد في تـابوت وأسمـع خدمـة الجنـاز وحـولي الـكـثير مـن النـاس، وأرى كاهننـا العجوز، الـذي تميّـز بحيـاة روحانيـة سـامية وعنـده موهبـة الرؤيـة، فـأتى بسرعة نحوي وقال:

"هـل تعلـم بأنـك كنـت بـالروح في الجحـيم؟ لا تتحـدّث الآن بأي شيء، اهدأ!".

منذ ذلك الوقت تغيّر الشاب فجأة، ترك الفوج واختار لنفسه عملاً آخر، وابتدأ بالذهاب للكنيسة كل يوم وكان كثير التناول من الأسرار المقدّسة. رؤيا الجحيم تركت في نفسه انطباعاً لا يُمحى. **إنّ تذكار الموت والجحيم مفيد جداً للنفس...** ***"في جميع أعمالك اذكر أواخرك، فإنك لن تخطئ أبداً" (سيراخ ٧: ٣٩).*** مع أن تذكار الغبطة السماوية يساعد أيضاً في حفظ الإنسان من السقوط.

عاش في أحد الأديرة **راهب اسمه بيمن**، وكان من الأوكرانيين وكان أمّياً وله من العمر سبعون عاماً. كانت خدمة الطاعة له في الدير هي تقطيع الحطب وإحضار الماء وإشعال النار. كان الطبّاخ في ذلك الدير معروفاً بطبعه النزق وبسرعة غضبه وكان كثيراً ما يغضب ويضرب **الأب بيمن** بكل ما تطاله يده: بمحراك الطبخ أو بالملقاط أو بالمكنسة. لم يرَ أحد قط بأن **الأب**

بيمن غضب من الطباخ أو قال له كلمة جارحة. في بعض الأحيان كان يسأله الإخوة:

"**هل تتألم، أيها الأب بيمن؟**".

فيجيب: "**لا بأس، أصابتني بظهري**".

وكان وجهه الكهل يُشرق بابتسامة.

ذات مرة وفي أثناء الصلاة غفى أحد رهبان هذا الدير فرأى حلماً:

كان في بستان فيه أشجار ذات جمال غير عادي ومحمّلة بالثمار وتفوح منها رائحة عطرية، ففكّر الراهب في نفسه وتساءل:

"**من صاحب هذا البستان الرائع؟**".

وفجأة رأى **الأب بيمن**.

هتف الراهب: "**كيف، أنت هنا؟**".

- "الرب أعطاني إياه، هذا منزلي الصيفي. كلما شعرت بانقباض في نفسي آتي إلى هنا وأتعزّى".

- "هل تقدر أن تعطيني من ثمار الجنّة هذه؟".

- "طبعاً، بكل سرور، مدّ ثوبك نحوي".

مدّ الراهب ثوبه فملأ الأب بيمن حِجْره بالثمار العجيبة. في تلك اللحظة رأى الراهب والده الكاهن المتوفي.

"أبي، أبي، وأنت أيضاً هنا؟".

هتف الراهب فرحاً ومدّ يديه نحو أبيه، فأفلت طرف الثوب من يديه ووقعت الثمار كلّها على الأرض. استيقظ الراهب. كان الوقت صباحاً.

نظر الراهب من نافذة قلايته وسمع صراخاً:

"أنت أيها السافل!".

كان الطباخ يصرخ:

" مرة أخرى لم تُحضر ماءً كافياً ، يجب أن تكون البراميل كلها ملآنة وأنت حتى لم تتفحّصها أيها البهيم!".

وضرب الطباخ **الأب بيمن** بالمحراك بكل ما أوتي من قوّة. خرج الراهب من قلايته واقترب وقال للطباخ:

"ابتعد عنه".

والتفت الراهب إلى **الأب بيمن** وسأله:

"أيها الأب بيمن، أين كنت الآن؟".

فأجاب **الأب بيمن:**

"غفوت قليلاً في المطبخ وبسبب ذاكرتي الهرمة نسيت أن أحضر الماء الكافي وبذلك جلبت على نفسي عقوبة الطباخ العادلة واستياءه مني".

- "لا، أيها الأب بيمن لا تخفِ عني، أين كنت أنت الآن؟".

- "أين كنتُ؟ كنتُ هناك حيث كنتَ أنت. الله الذي رحمته لا توصف أعدّ لي ذلك المنزل".

فسأله الرهب: "ماذا لو لم تسقط الثمار من حجري؟".

فأجابه الأب بيمن: "كانت ستبقى معك، وكنت ستصحى من النوم وستجد حجرك مليئاً بالثمار، ولكن عندها كان سيتوجّب عليّ أن أترك الدير".

بعد هذه الحادثة بوقت ليس بطويل توفي الأب بيمن ورحل للأبد إلى المنزل المُعدّ له.

ليؤهّلنا الرب الإله بأن نسكن في دياره مع كل الذين أرضوه!.

تحدّث أحد رهبان جبل آثوس إلى ستاريتس برية أوبتينا **مُخبراً** إياه بالآتي:

"لقد كنت في شبابي غنياً جداً وكنت أعيش عيشة المرح والترف. كنت سعيداً في كل النواحي. ومضت السنون وأصبحت صاحب مصانع كبيرة وكان دخلي يُعدّ بالملايين. وكنت أمتلك صحّة جيدة ولم أكن أفكر في أمور الحياة أبداً وكان موضوع العقاب والثواب بعد الموت بالنسبة لي خرافة.

غفوت ذات مرة بعد الغداء في مكتبي. وفجأة رأيت بكل وضوح **ملاكاً منيراً** وأخذني من يدي وقال:

"**لنذهب، سأريك المكان الذي سيكون بيتك إلى الأبد**". فتبعتُ **الملاك** بخوف.

هبطنا إلى وادٍ. وفي وسط الوادي ارتفع جبل هرمي الشكل وكانت تخرج منه أعمدة من دخان ومن داخل

الجبل كانت تُسمع أصوات عويل.

قال الملاك: "هذا هو المكان الذي ستأتي إليه بعد موتك إذا بقيت تعيش كما تعيش الآن. الرب أمر بأن يُكشف لك هذا".

اختفى **الملاك**، واستيقظتُ، وأعطيت مجداً وشكراً للّه الذي أعطاني وقتاً للتوبة. بعد هذا أسرعت في إنهاء أعمالي، وتركت لزوجتي مليون نقداً ومثلها للأولاد أيضاً، أما أنا فانعزلت وذهبت إلى جبل آثوس المقدّس. لم يقبلني رئيس الدير في البداية لأن سني كبير ولأني غير معتاد على العمل، لكني تبرّعت للدير بمليون لذلك قبلني عنده في الدير. أنا الآن تأهّلت لألبس الإسكيم وبمعونة اللّه آمل في أن أتفادى مكان التعذيب ذلك".

السعادة الحقيقية

أتصوّر بأنه لا يوجد في أي بلد في العالم أغنياء عظماء مثل أغنياء أمريكا. على سبيل المثال هناك في الوقت الحاضر يشتهر المليونير روكفيلر. فهو يمتلك مليار دولار نقداً عدا عن العقارات، يعني يمتلك ألف مليون.

تخيّلوا ألف صندوق وفي كل منها مليون، ولو وقف جندي أمام كل صندوق، فيلزمنا فوج كامل من العسكر. لو حكمنا من الناحية البشرية، ألا يمكن أن يكون هذا الإنسان سعيداً! ولكنه في الواقع أتعس إنسان في العالم. هو مصاب بمرض عُضال في المعدة، ولقد تم وضع صمّام مثلث في معدته مع مسابير من ذهب لضخ الطعام، أما العصائر المغذية فتُمتص من خلال الجلد، وبين الحين والآخر هو يعاني آلاماً مبرحة بحيث يتمنى الموت ظاناً بأن الألم في الجحيم سيكون أخفّ.

هو يقضي الوقت كلّه في قراءة الجرائد جميعها متمنياً أن يعرف إذا كان قد ظهر عالم شهير في مجال الطب في العالم، وإن قرأ عن أحد الأطباء المشهورين فسرعان ما يُجهّز السفينة ويرسلها لتحضر ذلك الطبيب، ولكنه لغاية الآن لم يحصل على أي تحسّن.

يبدو غريباً أن أتكلم الآن عن روكفيلر، **ما شأننا به؟** إنما تكلمت عنه لأريكم بأن الغنى بذاته لا يمكن أن يجلب السعادة للإنسان. الفرح موجود فقط في الرب، وإذا كان الإنسان بعيداً عن الله فإنه بعيد عن السعادة الحقيقية.

زارني مؤخراً معلم مع ابنه الغير مؤمن من بينزا❖. أنا قلت للأب: "**بدون إيمان لن يجد ابنك السعادة على الأرض**".

❖ بينزا – مدينة كبيرة في وسط الجزء الأوروبي لروسيا، مركز المحافظة.

فزعل مني. يحتقر الرسول بولس زماننا هذا فيكتب: *"... أكملت السعي حفظت الإيمان" (٢ تيم ٤ : ٧)*. هذا يعني أنه صعب جداً وبخاصة في زماننا هذا.

ظهر عندنا مؤخراً الكثير من اللصوص، ليس أولئك الذين يتسللون الى جيوبنا وينهبون بيوتنا، لا، **فاللصوص الجدد أشرّ وأخطر. هم لائقو الملبس ويتكلمون بعبارات طنّانة وفي النتيجة هم يسرقون أغلى شيء وهو الإيمان.**

وعندما يكون الإنسان مسلوب الإيمان يسأل معلميه:

"وكيف أعيش الآن؟".

فيجيبونه: "عش بحسب عقلك".

ومن المعروف بأن العقل بدون الإيمان لا يكون ناصحاً جيداً دائماً، فيبدأ الإنسان بالانسياق لرغبات

جسده ويسقط من أسفل إلى أسفل.

يا أبنائي، حافظوا على الإيمان المقدس، إنه كنز لا يُقدّر بثمن ومعه تدخلون إلى الملكوت. فنحن نجتهد ليس لشيء قليل بل من أجل الفوز بالملكوت وأي ملكوت!... السماوي! نريد أن نصير مواطنين فيه .

وهـا أنـا الإيكومينـوس الخـاطئ لا أعـرف راحـة مـن الصـبح إلى الليـل. مـن أجـل مـاذا؟ أرغـب جـداً في الوصـول إلى الملكـوت لأنـه لـو سـقطتُ في الجحـيم - لا سمـح الله - فحياتي كلها ستذهب أدراج الرياح.

المباركة

كنت أريد اليوم أن ألقي عظة بعد القداس ولكني البارحة لم آخذ إذن المباركة من **الأب الأرشمندريت**. هو طبعاً كان سيسمح لي بسرور ولكن من المستحسن عدم القيام بأي عمل بدون أخذ إذن المباركة. **إذا كان الناس في العالم يستشيرون أهل الخبرة في أعمالهم فكم بالحري الراهب الذي يجب أن يسلك في الطاعة.**

حدثت عندنا في الإسقيط حادثة:

أراد **أحد الرهبان** في الشتاء أن يذهب إلى دكان الدير، فجاءته فكره وهي أنه لا يستوجب أن يزعج **الستاريتس** بأمر تافه كهذا فالمسافة إلى الدكان تستغرق ربع الساعة. في الحقيقة جاءته فكرة أخرى وهي أنه من الأفضل أن يأخذ إذن مباركة من **الستاريتس** ولكن الرغبة الأولى تغلّبت فذهب الراهب إلى الدكان بدون إذن.

كان الوقت غسقاً والطريق يمرّ عبر غابة ومشى الراهب ومشى ولكنه لم يستطع الوصول إلى الدكان، فحل الظلام ولكنه لم يصل. **ما هذا الذي يحصل؟** لاحت له أضواء قرية من بعيد وعلى ما يبدو أنه وصل إلى قرية "**بريسكي**" وفجأة ظهرت أمامه وحوش غريبة.

فصرخ مرقس **(هكذا كان اسم الراهب)** من الخوف. وعندما اقترب رأى بأن هذه ليست إلا كومة من القش وصار يصيح طالباً المساعدة. تراكض القرويون وأخرجوه من كومة القش ووضعوه على عربة وأحضروه للإسقيط. تجمّدت رجله اليمنى بالكامل لذلك نصح الطبيب ببترها ولكن مرقس لم يوافق على البتر وقال:

"هذه الرجل التي مشت بحسب رغبتها فلتتعذب للنهاية".

وبالفعل تحمّل مرقس آلاماً مبرحة. بقي لمدة ١٢ سنة

طريح الفراش، إسودّت رجله وأصبحت تتقيّح ونغل الدود فيها وخرجت منها رائحة كريهة جداً. عندما كان يأتي أحد لزيارته كان مرقس يقول له:

" انظروا إلى الذي تصرّف على هواه".

وكانوا يقولون له:

"اهدأ أيها الأخ مرقس، لقد غفر لك الرب".

فكان يجيب:

"طبعاً غفر لأنه إله رحيم ولكن يجب أن لا أغفر لنفسي".

اقتنى الأخ مرقس تواضعاً عظيماً، وبعد موته ظهرّ لأحد الإخوة وبشّره بأن الرب قد رحمه وهو الآن يتعزّى في الفردوس.

قوة الصليب

هناك عادة في الإسقيط وهي أخذ البركة من الستاريتس لليل وللنهار. أهل الإسقيط كلهم يأتون إلى رئيس الدير صباحاً ومساءً وهو يبارك الجميع. **إشارة الصليب لها دلالة عظيمة**، فلا أحد يعرف ما سيأتي به الليل القادم، **لذلك من المهم جداً التحصّن بقوة الصليب الشريف والمحيي.** أحياناً تحدث عندنا في القلالي أشياء غريبة.

منذ مدة غير بعيدة توفي في الاسقيط **الأب بانفيل اللابس الإسكيم.** كان سابقاً يخدم في الجيش وشارك في الحرب المجرية عام ١٨٤٨ وفي حملة القرم وثم بعدها ترك كل شيء وذهب ليعيش في الدير.

ذات مرة حضر إلى صلاة السحرية وهو متكدّر ويتنهد متألماً وإبهام يده معصوب.

سألناه: "ماذا حصل؟".

فاجاب:

"الشياطين استحوذت عليّ في الليل يا إخوة. كنت لتوّى قد رقدت في الفراش ولم أغفُ بعد، فرأيت رتلاً من الناس لابسين جاكيتات مثل الخادمين في المطاعم، ففكرت، كيف جاء هؤلاء الناس إلى هنا وكلا البابين مغلقان بالمفاتيح. عندها فهمت من هؤلاء".

- "لماذا جئتم إلى هنا أيها الملاعين؟ من دعاكم؟.

فأجابوا: "سنريك الآن، أمسكوه".

فأمسكوني، أما أنا فارتبكت ولم ألحق برشم نفسي بإشارة الصليب فصاروا يصلبونني وشدّوا يديّ ورجليّ وضربني أحد الشياطين بالمطرقة، كان يريد أن يضربني في كف يدي فأصاب إبهامي وهشّمه فشعرت بألم شديد فصرخت:

"يا ربي يسوع المسيح ارحمني أنا الخاطئ!".

وللوقت اختفت الشياطين. نظرت وإذا بقميصي مخضّب بالدماء وإبهامي يؤلمني ألماً لا يُطاق فربطته فنظرت وإذا وقت الذهاب إلى الصلاة السحرية قد حان. صدّقوني يا إخوة، أنا لا أكذب.

بالفعل، معروف من سير القديسين بأن الشياطين تستطيع أن تؤذي الإنسان إيذاءً جسدياً. كثيراً ما هاجمت الشياطين **القديس أنطونيوس** حسّيا وكانت تضربه. ذات مرة ظهرت مجموعة من الشياطين **للقديس** وابتدأوا يضربونه **بسوط "سكوربيون"** **(العقرب)** وهذا السوط له أسنان حادة في نهايته تمزق الجسد وتنزع منه قطعاً من اللحم. كانت هذه من أرهب طرق التعذيب عند الرومان. أحسّ **القديس أنطونيوس** بألم لا يطاق ونادى **"يا رب، يا رب!"** فاختفت الشياطين. كان القديس مطروحاً أرضاً بلا حراك مخضباً بدمائه وفجأة

ظهر المخلّص وشفى جراحه بلمسة واحدة.

فقال القديس أنطونيوس:

"أين كنت يا رب؟ لماذا سمحت بأن يُهان عبدك؟".

فأجابه المخلص:

"كنتُ هنا لكني لم أظهر لك لكي تخزي الشياطين بنفسك".

كانت هناك حادثة أخرى في **أوبتينا**. جاءنا إلى الإسقيط مريد الرهبنة **الممرّض إيفان**. قبله **أبونا أمبروسيوس** تحت إشرافه، **وإيفان** هذا حدّثنا عن نفسه الآتي.

كان يعيش في **محافظة تولا** وفي ذات يوم تعرّف على ساحر وكان هذا الساحر يهودي الأصل وليس معلوماً إن كان معمّداً أم لا. أراد **الممرّض** أن يتعلّم فن العرافة.

وافق الساحر أن يقبله تلميذاً له، فأحضر في المرة الأولى مقعداً وأمر **إيفان** بأن يضع يديه عليه، فوضع **إيفان** يديه فارتفع المقعد إلى السقف. ارتعب **إيفان** وفرّ هارباً لكن الساحر أوقفه قائلاً:

"إلى أين تهرب يا جبان؟ أنت تريد أن تفهم كل المعرفة وتخاف من أشياء بسيطة".

فهدأ **إيفان** وعاد ومنذ ذلك الحين كان التعليم يتم بنجاح وسرعان ما أصبح يرى الأرواح بذاتها. من ناحية يبدو غريباً أن تظهر الأرواح العادمة الأجساد في أشكال حسّية ومختلفة أيضاً: إما على هيئة إنسان وإما على هيئة قطة وحتى على هيئة شعاع القمر، كما ظهر ذات مرة للساحر وتلميذه. من المفترض أن الأرواح تختار لنفسها جسما ماديا من الأجسام الموجودة في الفضاء.

كان **إيفان** المرض على وشك الهلاك ولكن الرب

الذي لا يشاء هلاك البشر أتى به وبطرق مستقصاه عن الفهم إلى ديرنا المقدّس، فعاش عندنا بعض الوقت.

ذات ليلة جاء **إيفان** إلى قلاية **الأب أمبروسيوس** وطلب من الخادم بأن يوقظ **الباتيوشكا**. فقال له الخادم:

"الوقت متأخر والباتيوشكا نائم وهو تعبان، تعال غداً".

فقال إيفان:

"لا، الأب أمبروسيوس قال بأنه يمكنني المجيء إليه في كل وقت سواء نهاراً أم ليلاً".

فأيقظوا **الأب أمبروسيوس**.

استمع **الأب أمبروسيوس** باهتمام وروى **إيفان** له التالي:

"بعد إتمامي قانون المساء أردت أن أستلقي وفجأة

رأيـت إنسـاناً متقـدماً في السـن في القلايـة. كانـت الأبـواب مغلقـة تمامـاً وبالتـالي لا يقـدر أحـد أن يـدخل قلايـتي، فتيقنت بأن هذا شيطان".

أما هو فقال لي:

- "أنـت تصـرّفت بطريقـة غـير لائقـة جـدا. كنـت صـديقنا ونحـن أعلنـا لـك بعـض الأسـرار وفجـأة أنـت تـترك كل هذا وترتبط بهذا العجوز".

فتساءلت: "ماذا عليّ أن أفعل؟".

فأجـابني: "كمـا تركتنـا هكـذا تتركـه أيضـاً. مـا عليـك سـوى أن ترغـب في ذلـك وأنـا في لحظـة أنقلـك مـن هنا إلى معلمك السابق".

فقلت: "ليس عندي فروة والجو صقيع في الخارج".

فقال: "لا تقلق، يوجد فروة ويوجد حصان أيضاً".

فقلت: "الاسقيط مغلق".

فقال: "نتسلل من فوق السور وفي الخارج تنتظرنا عربة".

فصرخت: "أيها الرب يسوع المسيح يا ابن الله ارحمني أنا الخاطئ".

واختفى الشيطان بلمح البصر.

أما أنا فانتابني خوف غريب وفكرت:

"ماذا لو أنه يعود فجأة ويخنقني؟" وها أنا أتيتك راكضاً يا أبتي".

ليست كل الأرواح متساوية، كما في الجيش هناك جنود وضباط وجنرالات وجنرالات فوق الجنرالات هكذا أيضاً في قوات الشياطين. لو أخذنا قصة الإنجيل عن شفاء مجنون جدارة، عندما سأل الرب الروح النجس الساكن في ذلك الإنسان عن اسمه فكان جوابه:

"لجيـون". واللجيـون في الجـيش الرومـاني هـو لـواء يتـألف مـن ٦٤٠٠ شـخص، وبالتـالي ففـي المجنـون كـان يسـكن رئـيس شـياطين. وعنـدما سمـع **الأب أمبروسـيوس** كلام **الراهب إيفان** قال:

"حسـناً أنـك أتيـت، لقـد كـان عنـدك شـيطان قـوي ومخيـف، رئـيس ثمانيـة ألويـة ولا أحـد يسـتطيع أن يفلـت منـه تقريبـاً. لقـد أخبرنـي الـرب بأنـك في خطـر فنهضـت للصـلاة. المجـد لله أنـك تـذكرت اسمـه المقـدس والمخيـف وبه طردت الشيطان".

انقطعـت أخبـار هـذا الراهـب عنـدما التحـق بالخدمـة العسكرية ولم يعد بعدها للدير.

نحـن المـؤمنين نمتلـك سـلاحاً عظيمـاً! **إنـه قـوة الصـليب المحيـي.** عنـدما أفكـر في غـير المـؤمنين ينتـابني الهلـع مـن أجلهم فهم بدون حماية بالكامل.

هــذا يشــبه إنســاناً ذهــب إلى غابــة كثيفــة دون أن يحمــل معـــه أي ســـلاح، فهـــو ســـيكون فريســـة لأول وحـــش سيصــادفه فهــو لا يملــك شــيئاً يــدافع بــه عــن نفســه. أمــا نحــن فلن نخاف من الشياطين.

لأن قوة إشارة الصليب واسم يسوع المخيف لأعداء المسيح هما ينقذاننا من شباك الشياطين الشريرة. آمين.

عجيبة هي مقاصد الرب

عجيبة هي مقاصد الرب التي تأتي بالإنسان إلى طريق الحق! عاشت في مدينة كورسك **عائلة أنتيمونوف** الغنية والمشهورة وكانت تجارتهم بالملايين، وكان **إيفان** هو ابنهم الوحيد يسعى دائماً إلى الدير، فأراد أهله أن يزوّجوه بأسرع وقت.

مرضت الأم وقبل أن تموت قالت لابنها: "**فانيا***، **ادخل الدير**". وبعد عام وجد الأب عروساً شابة جميلة وغنية لابنه فذهب الأب ليرى العروس. في ذلك الوقت كان الوالدان هما اللذان يقرّران هذه الأمور واختيارهما نهائي وغير قابل للنقاش. عندما عاد الأب من زيارته سأله ابنه:

- **"كيف رأيت العروس يا أبي، جيدة؟"**.

❖ صيغة تصغير من اسم "إيفان".

- "جيدة جداً".

- "متى تأذن لي بالذهاب لرؤيتها؟".

- "لا داعي للعجلة".

- "كيف ذلك يا أبي؟ أنا سأتزوّج، فلهذا يجب عليّ أن أرى العروس".

- "لا داعي لأن تراها، هي فعلاً عروس ولكنها ليست عروسك".

- "كيف هذا؟".

- "هكذا! أنا من سيتزوّجها".

- "تزوّجْ يا أبي، وهل تسمح لي بالذهاب للعمل بصيد الأسماك؟".

- "اذهب في رعاية الله".

جلس الابن في العربة وغادر وبدلاً من الذهاب للعمل في الصيد ذهب مباشرة إلى **دير أوبتينا**. سارت عربة الترويكا❖ نحو الدير وأخطأ الحوذي وعبر قليلا عن فندق الدير. فخرج **الراهب خادم الفندق** على صوت أجراس الأحصنة وإذا بعربة ترويكا تقلُّ شخصاً بلباس العلمانيين ولكن على رأسه **تاج الأسقف**. فاندهش وقال:

"يا ربي يسوع المسيح ارحمني، هل أنا في كامل وعيي ولست أحلم؟".

دخل الفندق راكضاً وهو يقول: "رأيت كذا وكذا".

❖ الترويكا – كلمة روسية تعني أصلاً مجموعة ثلاثية. هنا – عربة تجرّها ثلاث خيول. كما دخلت الكلمة لغات أخرى للاشارة إلى اللجنة أو الهيئة التي تتكون من ثلاثة أشخاص أو ثلاث جهات.

فقالوا له:

- **"ماذا بك أيها الأب، هل أنت بكامل عقلك؟".**

فقال الكاهن:

- **"تعالوا إلى الخارج وانظروا".**

خرجوا للخارج. في هذه الأثناء كان الحوذي قد أدار الخيول ورجع بالعربة إلى الفندق. فخرج **إيفان** من العربة وانحنى.

فسأله خادم الفندق:

- **"أنتم الذين عبرتم منذ لحظات؟".**

- **"نعم، الحوذي أخطأ وعبر قليلاً عن الفندق، لماذا يا أبتي تنظر لي هكذا؟".**

- **"ما الذي كان على رأسك؟".**

- **"قبعة".**

- **"قبعة؟".**

ذهب خادم الفندق إلى الأب **الأرشمندريت موسى** وقصّ عليه كل شيء، لكن **الأب موسى** لم يكن عنده إعلان من الله بالأمر. فقال له:

- **"لا أعرف ماذا أقول لك. اذهب إلى الستاريتس مكاريوس".**

أما الأب **مكاريوس** فاستقبله قبل أن يتفوّه بكلمة بالسؤال:

- **"ماذا بك؟ أرأيت أرشمندريتاً في العربة؟ رأيت التاج على رأسه؟ سيكون هذا الشاب أرشمندريتاً عظيماً باسم إسحق".**

وهكذا صار كما قال الأب مكاريوس. ولكن لم

يقـل أحـد شـيئاً **لإيفـان**. أمـا والـد **إيفـان** فغضـب علـى ابنـه إلى درجـة أنـه لم يـزره ثـلاث سـنوات، ثـم جـاء إلى الـدير وقال:

"أروني هذا الابن العاصي".

لكـن الأب ارتـاح في أوبتينـا جـداً حتـى أنـه فكّـر في البقاء فيها. لكن الأب **مكاريوس** قال له:

" لا، اذهـب وعـش كمـا كنـت تعـيش فلـم يبـق لـك الكثير من الوقت".

أمـا الأرشمنـدريت إسـحق فـترأس الـدير لمـدة ٣٨ سـنة. إن الرب يؤدي الناس للخلاص بطرق مختلفة. آمين.

المرجع الأصلي:

Преподобный Варсонофий Оптинский. Беседы старца с духовными чадами/ 1907-1912 гг

كل المشاعر التي يزرعها الإنسان داخل نفسه أثناء حياته هي ما يغادر بها إلى الحياة الأبدية.الجسد المريض يتعذّب على الأرض وكلما اشتدّ المرض زاد العذاب. وهكذا هي الروح المصابة بأمراض مختلفة تبدأ تتعذّب عند انتقالها إلى الحياة الأبدية. مرض الجسد المستعصي ينتهي بالموت، ولكن كيف يمكن أن ينتهي مرض الروح بما أنّ الروح لا تموت؟ الحقد والغضب والسخط والزنا وغيرها من أمراض الروح هي مثل الأفاعي تزحف وراء الإنسان إلى الحياة الأبدية.



التراث السلافي الأرثوذكسي

Al Jabal